الأستاذة حرة طيبي .

عنوان المداخلة : خطر الشعر العربي المعاصر على اللغة العربية

الخلاصة :

منذ بداية القرن الماضي واللغة العربية تئن تحت ضربات سياط أبنائها من كل جانب ، دون رحمة أو هوادة ،وهو ما دفع بالشاعر القدير حافظ إبراهيم إلى نظم قصيدته الشهيرة عن اللغة العربية والتي يقول فيها : رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولدت ولما لم أجد لعرائسي رجالا وأكفاء وأدت بناتي

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات.

من المعروف أن اللغة، هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير، ، والإبانة عن الذات ، وهي أول شيء يصادفنا، وهي النافذة التي من خلالها نطل عن العالم، هي المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب، والجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق.

إن الإنسان لم يعرف السحر إلا يوم أدرك قوة الكلمة، ولم يعرف الشعر إلى يوم أدرك قوة السحر. فاللغة والسحر والشعر ظواهر مترادفة في حياة الإنسان[1]. غير أنه لولا وجود اللغة لما وجد السحر ولا كان الشعر ولا كان العلم، فاللغة – إذن- أعظم اختراع توصل إليه الإنسان في حياته حتى اليوم ! فهل يحق لأحد أن يتلف هذه الوسيلة العجيبة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه من تقدم وازدهار، وتواصل عبر آلاف السنين ؟ في هذا التساؤل تكمن إشكالية محاولة ضرب اللغة العربية ، بطرق وأشكال مختلفة من الداخل ،بإيعاز وتدبير محكم من الخارج ، حيث يحاول بعض الشعراء – وليس كل الشعراء – عن قصد أو عن غير قصد تحطيم كل ما هو قديم متوارث ، من لغة وقيم وفن و... وليتهم يملكون البديل.

والمعروف كذلك أن الاعتزاز باللغة ليس وليد الاعتزاز بذات اللغة بقدر ما هو اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة، وما الصراعات التي نشاهدها اليوم بين الدول ، وأحيانا في الدولة الواحدة التي فيها أكثر من لغة واحدة ،إلا نوع من الصراع من أجل السيطرة والسيادة ليس إلا ؟

النص الكامل للمداخلة

الشعر و اللغة

منذ بداية القرن الماضي واللغة العربية تئن تحت ضربات سياط أبنائها من كل جانب ، دون رحمة أو هوادة ،وهو ما دفع بالشاعر القدير حافظ إبراهيم إلى نظم قصيدته الشهيرة عن اللغة العربية والتي يقول فيها : رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولدت ولما لم أجد لعرائسي رجالا وأكفاء وأدت بناتي

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات.

من المعروف أن اللغة، هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير، ، والإبانة عن الذات ، وهي أول شيء يصادفنا، وهي النافذة التي من خلالها نطل عن العالم، هي المفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب، والجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق.

إن الإنسان لم يعرف السحر إلا يوم أدرك قوة الكلمة، ولم يعرف الشعر إلى يوم أدرك قوة السحر. فاللغة والسحر والشعر ظواهر مترادفة في حياة الإنسان[2]. غير أنه لولا وجود اللغة لما وجد السحر ولا كان الشعر ولا كان العلم، فاللغة – إذن- أعظم اختراع توصل إليه الإنسان في حياته حتى اليوم ! فهل يحق لأحد أن يتلف هذه الوسيلة العجيبة التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه من تقدم وازدهار، وتواصل عبر آلاف السنين ؟ في هذا التساؤل تكمن إشكالية محاولة ضرب اللغة العربية ، بطرق وأشكال مختلفة من الداخل ،بإيعاز وتدبير محكم من الخارج ، حيث يحاول بعض الشعراء – وليس كل الشعراء – عن قصد أو عن غير قصد تحطيم كل ما هو قديم متوارث ، من لغة وقيم وفن و... وليتهم يملكون البديل.

والمعروف كذلك أن الاعتزاز باللغة ليس وليد الاعتزاز بذات اللغة بقدر ما هو اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة، وما الصراعات التي نشاهدها اليوم بين الدول ، وأحيانا في الدولة الواحدة التي فيها أكثر من لغة واحدة ،إلا نوع من الصراع من أجل إثبات الذات و الهوية والسيطرة.

العرب وسحر الكلمة

إن العرب بفطرتهم مطبوعون على حب الشعر، لأنه يغلب على أحكامهم الوجدان بحكم بداوتهم وأميتهم، فأكسبهم ذلك التأنق في الكلام، و سرعة الحفظ وحضور البديهة ، فاتخذوه كما قال الجمحي "ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون" وأحلوه من الاعتبار في الغاية، ومن الرعاية في الذروة، وكانت القبيلة يرفعها البيت من الشعر أو يحط من شأنها بين القبائل [3] حتى أصبح ذلك مضربا للأمثال، فقيل هذا "بيت القصيد" .

إذن فالعرب لم يهتموا بفن من الفنون كاهتمامهم بفن الشعر، يحفظونه ويروونه وينظمونه كبارا وصغارا، رجالا ونساء، فكان رفيقهم وأنيسهم في الحلّ والتّرحال، في البؤس والشقاء، في الحرب والسلم منذ ذلكم التاريخ إلى يومنا هذا.

فكيف نسمح لأنفسنا ،أن نرمي بكل هذا التراث الشعري الضخم ، المتراكم عبر الأجيال، من خلال التلاعب باللغة واستهجانها والحط من قيمتها بحجة التطور والتجديد ومسايرة العصر ، والحقيقة عكس ذلك تماما- كما هو واضح عند هؤلاء الشعراء المعاصرين أمثال (أدونيس) – تكمن

في ضرب اللغة العربية بهدف إضعافها ثم تقسيمها إلى لهجات محلية لقتلها والتخلص منها ، وليتهم وعوا أنهم بضربهم اللغة يضربون أنفسهم ولا يشعرون ، لأن في ذلك دعوة صريحة إلى الجهل، بل إلى الاستهجان والاستهتار بتاريخنا وقيمنا و شخصيتنا وبكل ما نستطيع أن نفاخر به غيرنا من الأمم.

واللغة العربية في ماضيها المجيد وتراثها العريق تأتي في مُقدِّمة اللغات التي نجحَتْ في القيام بدورها الحضاري الرَّفِيع، وارتَقَتْ بأمَّة من مجتمع الصحراء المتواري لتكون هي ولغتها قائدة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم قرونًا عديدة مُتوالِيَة، ويَكفِي في هذا المقام أن نتذكَّر أنها شَرُفَتْ بحمل آخِر رِسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مُبِين.

إنَّنا في عصر تَحرص فيه اللغات الكبرى المُسَيطِرة على التِهام اللغات المُنافِسة لها، أو على أقل تقدير إضعافها وتفتيتها، وأنها تلجأ في سبيل تحقيق ذلك الهدف إلى توظيف وسائل علميَّة وتعليميَّة وإعلاميَّة، تَمَّ إعدادُها ودراستها بدِقَّة شديدة، فيها مُغريات كثيرة، يتَمَّ من خلالها دسُّ السمِّ بإحكام ، في آنية العسل؛لتكون كالطعم يَنجَذِب لها المتلقي - بوعي أو بلا وعي - من أبناء اللغة المستهدفة ، فيتم تحقيق الهدف المرسوم بسهولة ويسر.

والقُوَى الكبرى التي تسعَى إلى تحقيق مثل هذه الأهداف، تَعرِف أنها لا تُحارِب فقط كلماتٍ وقواعد وتراكيب، وتراثًا شعريًّا أو نثريًّا، ولكنها تُحارِب ما يَرمُز إليه ذلك كله، وتسعى إلى السَّيْطَرة على مُقَدَّرات أبناء هذه اللغة وثرواتهم، واستقلال ذواتهم، وصَلابة قراراتهم؛ لكي يكونوا لقمة سائغة في خدمة عجلات الإنتاج ومَطامِع التوسُّع، لدى أصحاب اللغات المسيطرة .

الشعر والواقع

من المعرف أن الشعر – أياً كان موضوعه – يعتمد في ما يعتمد عليه، على عنصر الخيال لتشكيل الصور التي هي من صميم التعبير الشعري، لأن الشعر إذا خلا من الخيال والتصوير فليس بشعر، وإنما هو ضرب من النظم. ولكن الخيال والتصوير الذي نعنيه هاهنا،ليس الغموض والإبهام والتضليل والوهم الذي يمتلئ به شعرنا المعاصر، والذي نحاول جاهدين أن نفقه منه شيئا في كثير من القصائد فلا نتمكن من ذلك . وإنما نعني ذلك التصوير الايجابي الذي يعطي للمتلقي ، مجالا واسعا للتأويلات والاحتمالات ،للوصول إلى المعنى المقصود.

ولأن الشعر مهما حلّق في أجواء الخيال، واسترسل في أفانين التصوير والبيان، فإنه منطلق من الواقع، من الحياة، من شعور الإنسان وعلاقاته بالآخرين، وبالكون الذي يعيش بين أحضانه ،ولا يأتي من عدم أو ينزل على الشاعر وحيا من السماء .

لذلك فقد يؤدي الكلام على الأدب ، إلى الكلام على مرجعيته ،التي ساهمت في تكوينه وبلورته وإخراجه إلى الوجود، ملونا بألوان وأحاسيس الشاعر الذي أبدعه، مصبوغا بانفعالاته وعواطفه.لأن الشعر الحقيقي هو ذاك الذي تمتزج فيه ذات الشاعر بموضوعه، فيغدو الشعر قطعة من ذات الشاعر [4] فيها أحلامه وأمنياته، و موقفه الذي يدعو إليه متلقيه ،وليس ذلك الواقع الجاف، الذي يعرفه الناس على مسرح الحياة.

وهذا الأمر لا يخص الشاعر وحده، فحسب وإنما يخص كل فنان مبدع لفنه.إذ لكل ذي فن في الحياة أسلوبه وطريقته للتعبير عن فنه ، والإبانة عن ذات نفسه، فالموسيقي بنغمه والمثال بنحته، والمصوّر بريشته، والأديب بشعره ونثره، وقد صدق شوقي حين قال: "أساطين البيان أربعة: شاعر سار بيته، ومصور نطق زيته ،و مثال ضحك حجره، وموسيقي شدا وتره"[5] .

ولا يغيب عن الذهن ،أن الفنان المبدع ، يخاطب في المتلقي العقل والوجدان معا، لإثارة انفعاله واستمالته ،إلى تقبل الفكرة أو الموقف دون تردد أو رويّة.

وبما أن الحقائق والأفكار في تجدد مستمر، لا تجف ينابيعها، فمن الطبيعي أن تتشابه الأحداث والقضايا ، التي تشكل عناصر الشعر، ومن ثمة يصبح من الطبيعي تكرار المواقف وصور التعبير عنها، ولكن بأدوات مختلفة وبمنظار مختلف، وبألوان غير الألوان وهكذا .. وهذا أمر بديهي، أشار إليه كثير من شعراء العصر الجاهلي، منهم عنترة بن شداد حيث قال: هل غادر الشعراء من متردّم ... . أم هل عرفت الدار بعد توهم [6] ومعنى البيت أن الشعراء الذين سبقوه، لم يتركوا شيئا يصاغ فيه شعر، إلا وقد صاغوه فيه. فالشاعر عنترة، قد شعر بضيق من أزمة المواضيع ، التي تتيح للشاعر أن يقول فيها شعرا، لتوصيل فكرته إلى المتلقي، ولكن ذلك لم يثنه عن إبداع أرق الشعر وأجمل القصائد ، بلغة وأساليب من سبقوه من الشعراء، دون أن يعلن الحرب عليهم، أو القطيعة مع الماضي، لا شيء سوى لأنه كان يمتلك الوسائل الكافية لقول الشعر.

وما قلناه عن عنترة يمكن قوله – أيضا – عن عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة الشهيرة "ألا هبي بصحنك"، فهي مثل حيّ للتعبير الجميل واللغة الواضحة، والصدق الفني في التعبير، ولا بأس أن نسوق بعض الأبيات منها:

ألا هبـي بصحنـك فاصحينـا .....ولا تُبقـي خمور الأندرينـا

إلى أن يقول بعد وصفه للخمرة، وما تفعله في شاربها :

وإنـا سـوف تدركنـا المنايـا .....مقـدرة لنـا و مقدرينـا

قفـي قبـل التفـرق يا ظعينـا .....نخبـرك اليقيـن وتخبـرينـا

قفي نسألك هل أحدثت صرمـا .....لوشك البين أم خنت الأمينـا

بيـوم كريهـة ضربـا وطعنـا .....أقرَّ به مواليـك العيـونـا [7]

وتمضي القصيدة على هذا النحو من التعبير الجميل المؤثر، على الرغم من ضحالة الفكرة، وعدم عمقها، فإنها في الوقت ذاته جمعت بين المعاني وجودة السبك ،وحسن الصياغة وقضايا القبيلة ، الأمر الذي جعلها تحتل مكانة مرموقة ، في نفوس قبيلة (تغلب) ، وترتبط بها ارتباطا وثيقا، حتى غدت نشيدا قوميا لهذه القبيلة ، ظلت تفاخر بها القبائل جيلا بعد جيل. ومع ذلك كله ، فهي لا تختلف عن نظام القصيدة المعروفة في ذلك الوقت، من الناحية المعنوية أو الفنية. وربما تجديد الشاعر فيها ، يكمن في تعبيره عن قضايا قبيلته ،من خلال منظور ذاته وبيئته وعصره، وتلكم هي الحداثة أو المعاصرة ،وهي الأصالة في الشعر. وليست المعاصرة في الشعر، هي أن يأتي الشاعر في شعره

بأشياء مستعارة ، غريبة عن قومه ومجتمعه وعصره وبيئته ، ويزعم أنه من دعاة التجديد والمعاصرة.

ليس عيبا أن يحاول الشاعر مواكبة العصر الذي يعيش فيه، ولكن بشرط أن يكون شعره معبرا عن مجتمعه وبيئته، منطلقا من ذاته، لا مستعيرا ومشحونا برموز وطلاسم لا يفهمها حتى هو بذاته، بل العيب كل العيب أن يظل الشاعر متقوقعا في صومعته ،مغلقا بابه على نفسه، مكتفيا باجترار آثار القدماء ، في موضوعاتهم ومشاعرهم وبيئاتهم وأفكارهم: وهذا هو التخلف بعينه، وهذه أهم الأسباب التي تفقد الشعر والشاعر ، قدرته على التواصل والتأثير في المتلقي.

فإذا أراد الشاعر المعاصر أن يرتقي بشعره، إلى مرتبة المعلقات العربية التي لا نزال نرددها إلى اليوم ،و لا نمل من ترادها، فعليه أن يعود إلى هذا التراث الثري، ويعي جيدا تلك العلاقة التي كانت تربط الشاعر بقومه وبيئته وعصره، فضلا عن الخصائص الفنية التي ساعدت هذا الشعر، على البقاء والخلود عبر قرون طويلة من الزمان.

وعليه أن يعي – أيضا – بأن الشاعر ليس كيانا مستقلا بذاته، وإنما هو ابن بيئته ومجتمعه وعصره. فالأديب وأعماله ثمرة قوانين عملت في القديم، وتعمل في الحاضر ، وتظل تعمل في المستقبل، وهو يصدر عنها صدورا حتميا لا مفرّ منه، إذ تشكله وتكيفه حسب مشيئتها، وحسب ما تحمل في تضاعيفها من جبر وإلزام.

وكم من شاعر أراد أن يثور، عن الماضي ويقطع صلته به، ولكنه سُرعان ما أحس بالفشل، فعاد إلى حيث كان من قبل. ومن الأمثلة على ذلك ثورة أبي نواس على المقدمة الطللية، حين قال:

صفة الطول بلاغة القدم .... فاجعل صفاتك لابنة الكرم [8]

والشاعر حافظ إبراهيم حين قال:

آن يا شعر أن نفك قيودا .....قيدتنا بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكمائم عنا ..... ودعونا نشم ريح الشمال [9]

والشاعر يقصد بالقيود، الموضوعات والأغراض الشعرية التقليدية ، التي التزم بها أصحاب التيار التقليدي المحافظ ، ويقصد بريح الشمال: الثقافة الغربية وما تزخر به من تنوع وتجديد. ولكنه على الرغم من دعوته إلى كسر القيود القديمة ، والتفتح على ثقافة الغرب، ظل محافظا على الأصالة العربية، وعلى رسالة الشعر السامية عند العرب. وجدد في موضوعات الشعر بما يتلاءم و روح العصر والمجتمع، وبقي شعره يسير في سياق التيار التقليدي ، لغة وتعبيرا وإيقاعا، يشعل الملتقي ويؤثر في وجدانه، بوضوحه ودقته وعذوبته.

وفي مجال رسالة الشعر قال شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

وإننا الشعراء الناس ما فتئت .....أرواحنا تغمر الإنسان إيمانا

رسالة الشعر في الدنيا مقدسة .....لولا النبوءة كان الشعر قرآنا

إذن فالشعر كان هاديا ومربيا ومعلما ، ومعبرا عن المشاعر والمواقف، وساعيا إلى محاربة الشرّ والخرافات ونبذ الرذائل، وداعيا إلى مكارم الأخلاق والفضائل ، وبناء المجتمع الراقي الذي يتذوق الفن ويقدّر قيمته في بناء الحضارة، وكل كلام يخرج عن أداء هذه الرسالة، فهو ضرب من الوهم والهذيان ،حتى لو كان موزونا ومقفى.

وما أكثر هذا النوع من الشعر، في ما يسمى بالشعر المعاصر في الأدب العربي بشكل عام، وفي الشعر الجزائري أيضا، فهو شعر لا علاقة له ،لا بالبيئة ولا بالمجتمع ولا بالعواطف الإنسانية، ولا حتى بذات صاحبه، بقدر ما يعبر عن الواقع الصادم للذات الشاعرة ،التي ولّت هاربة من الأصالة نحو الفوضى والاضطراب ،وعدم الرؤية الصحيحة للأشياء. أما أصحاب هذا النوع من الشعر، فيمكن تقسيمهم إلى فريقين.

أما الفريق الأول، فيتبنى التجديد بسوء نية، لأنه يهدف إلى تضليل الإنسان العربي، وإفساد ذوقه، وذوق الأمة العربية، وتشويه إحساسها بالجمال، وإضعاف اللغة العربية، باستعمال الألفاظ الأجنبية والعامية ، أو استعمال اللفظة في معنى لا تمت له بصلة ، لا من قريب و لا من بعيد لإحداث التشويش في الفهم،وتعقيد الكلام ، لتنفير الناس من العربية، ويتم ذلك كله بدعوى التجديد والمعاصرة ومواكبة العصر.

وأما الفريق الثاني، فيتبنى هذه الموضة أو الموجة عن حسن نية، ظنا منهم أنهم يمثلون عصرهم بصدق وإخلاص، وأن كل ما يأتون به من تجديد ،في اللغة أو الصياغة أو الفكر، فهو منتزع من روح العصر، ويواكب الحركة الأدبية العالمية، وكلاهما يؤدي في نهاية المطاف إلى هدم القيم العربية المتوازنة عبر الأجيال، والتي يتميز بها العربي عن غيره من الأجناس الأخرى. وبتجريد العربي من هذه القيم الروحية والفنية ،يغدو إنسانا هجينا، يشبه الإنسان الآلي في سلوكاته وتصرفاته، ومن ثمة يعجز عن تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويبقى تابعا في كل تصرفاته، ومسارات حياته، ويسهل انقياده إلى حيث يريدون اقتياده.

والأمثلة من هذا الشعر كثيرة، وكثيرة جدا، ولا بأس أن نسوق هذا النموذج من أشعار زعيم المجددين المعاصرين (أدونيس) من ديوانه: (مفرد بصيغة الجمع) حيث يقول في إحدى قصائده:

مكـان ولادتي ...

1930 الشمس قدم الطفل

عرفت أقل من امرأة

لأنني تزوجت بأكثر من امرأة

عرفت أقل من رجل

لأنني تزوّجت بأكثر من رجل

أعلنــا ...

الزواج غبـار ...

لكن ...

مثل يرقة تتحول إلى فراشة

هكذا يتحول غبار الزواج

إلى زهرة من العشق[10]

وهكذا يمضي الشاعر المعاصر في نظمه على هذا النمط العبثي، الذي لا يمتّ إلى فن القول بصلة، لا هو شعر ولا هو نثر مفهوم، وإنما هو نوع جديد من الهراء والهذيان والنعيق ، أو هو أكثر من ذلك. ولعل الهدف منه هو ملأ الساحة بالهذيان والضجيج ، حتى يزعق محبّو الشعر، ويضجون من كثرة الخشخشة والضجيج والصياح، فيعلنون استسلامهم، ويقبلون بما هو موجود في الساحة. لأن هذا الشاعر(أدونيس) لم يكتف بنشر هذا النوع من الشعر، بل أنشأ مجلة أطلق عليها اسم (المواقف) في بيروت، وأخذ يُنَظِّر ويدعو فيها إلى تبني هذه الموجة الجديدة، محتضنا الشعراء الذين ينظمون في هذا الاتجاه باعتباره – في رأيه - النموذج الصحيح للشعر المعاصر الأصيل، والذي يجب محاكاته.

وما قلناه عن هذا النموذج الشعري، ينسحب على كل الذين ينظمون على شاكلته، ولا يشمل الشعراء المعاصرين ، الذين يحافظون على أصالة اللغة ، ويحترمون قوانين الشعر وقواعده، ويقدسون قيمة الكلمة، ويرفعون من شأن مشاعر المتلقي.

وإلى جانب ذلك كله، فالشاعر المعاصر، يدرك جيدا، بأن الزيف والفساد، قد استشرى، وانتشر في كل مجالات الحياة اليومية، وأن الأصالة تموت يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل، لأن هناك قوى ضاغطة من الزائفين والمرتزقة يخنقون كل موهبة أصيلة، ويئدون كل عبقرية مضيئة ،عن عمد واضح مفضوح وبكل الوسائل [(11)].

أسباب انتشار هذا النوع من الشعر

هناك أسباب عديدة، ساهمت في انتشار هذه الموجة من الشعر المعاصر بهذا المستوى المتدني للغاية، ويأتي على رأس هذه الأسباب:

- غياب النقد، والنقد هو الذي يسوق الإبداع ويوجهه، فإذا وجد النقد، فإن المبدع يعرف مسبقا ،أنه سيجد أمامه على طول الطريق ، أقلا ما مشرعة، تتناول عمله بالفحص والمناقشة والتفسير والتعليل، مما يجعله يقرأ ألف حساب لهذا النقد قبل إخراج عمله، وفي الوقت ذاته يجعله في حالة تحصيل دائم لمادته الإبداعية .. إذ أن هذه الأقلام تكشف له في واقع الأمر ما بداخله، من مدى صدقه في التعبير عن القضايا، ومدى قدرته على تقديمها للمتلقي.

إن النقد في الحقيقة يفعل فعل السحر في نفس المبدع، إذ هو ينير له في داخله مناطق كانت معتمة ،لا يراها واضحة في وعيه ، فيزداد بذلك الشاعر المبدع ثراء وعمقا، وبفضل هذه المتابعة النقدية الواعية ، يتم تطور الشاعر في غده بأفضل مما كان عليه في أمسه، فلا يتوقف ولا يكرر ولا يستبذل. كما أن النقد الواعي هو الذي يستطيع أن يفرز للمتلقي حقيقة معادن المبدعين، وبهذا لا يبقى في دنيا الإبداع الشعري إلا العمل الناجح والموهبة الحقيقية. فلا مجال للزيف وسيف النقد مصلت على

الرقاب ، ولا مجال للادعاء وعين النقد صاحية. كم من أعمال نقدية أثارت الزوابع وأقامت الدنيا وأقعدتها، وكم من معارك أدبية وفكرية شغلت الصحف والمجلات، وكم من شاعر ولد على أيدي النقاد الذين احتفلوا به وبشروا بمولده الفني، والعكس صحيح، فالنقد ضمير المجتمع الأدبي، وذوق الأمة.

إن شعرنا المعاصر، شعر مأزوم، لقد أصابه العجز منذ البداية عن مواجهة المذاهب الشعرية العالمية المعاصرة، فاستسلم لها، ولكنه عدّ نفسه – مخادعة للذات وتضليلا لها – جزءا من تلك المذاهب، فامتلأ بالغرور، وزها بشعور الاستعلاء، وراح يكتب ويترجم وينقل ، عن الغرب كل ما يصادفه من إبداع شعري وينسبه إلى نفسه، فأدى ذلك إلى قطع الصلة بين الموقف الشعري المعاصر،ومسيرة الشعر العربي في مراحل تطوره ، وقطع الصلة مع الموقف الاجتماعي، فكان هذا الانقطاع آية التخبط والاضطراب، بل وشاهد صدق على المآل الكئيب الذي آل إليه الشعر المعاصر [12]، لأن هذا الشعر لم يكن نابعا من حاجة المجتمع، ولم يكن نتيجة تطور طبيعي للشعر العربي، وإنما جيء به كما هو بزيه الأجنبي.

ضيـاع المتلقـي:

إن كثرة وسائل الإعلام المسموع والمقروء ، والسمعي البصري ، وغيرها من وسائل الإعلام الأخرى، جعلت المتلقي حائرا إلى أين يتجه، وماذا يختار منها .وكل هذه الوسائل تحاول أن تصل إليه بطريقة أو بأخرى، في سباق محموم للاستيلاء على هذا المتلقي. وفي غمرة هذا الكم الهائل من الفضائيات والصحف والانترنيت والكتب والمجلات، ضاع المتلقي ولم يدر ماذا يفعل، ففتح باب بيته وصار يستقبل ما يصل إليه مجانا ،دون البحث والتمييز بين الجيّد والرديء، بين الذي يفيد والذي لا يفيد، بين الأصيل وغير الأصيل، يفعل ذلك لأنه لا يدفع ثمنا ماديا لما يصل إليه، ولكنه لا يعي بأنه يدفع ثمنا باهضا، يكمن في ضياع أصالته، وكرامته وخلقه وذوقه وما إلى ذلك، لأن هذه الوسائل، معظمها لا يراعي الحفاظ على الوجود الصحي للمتلقي ، عقلا ووجدانا وتذوقا ، فإنسان العصر ضاع تحت ضغط هذا الكم الهائل ،من وسائل الإعلام المختلفة، والتي تحيط به من كل جانب، وتجرعه مع الحياة اليومية جرعات دائمة ،مما هو شبيه بالأدب والفن وهو ليس من الأدب والفن في شيء [13].ولعل ما نراه اليوم في الساحة العربية من التفرقة ،والتخاذل والضعف العام بل الانحطاط في جميع الميادين ، هو لا شك حصاد ذلك كله .

الهـوامـش

[1]– الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/ عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت ط3 عام 81 ص 173.

[2]–: المرجع نفسه .

[3]– الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد السكندري ومصطفى عناني، دار المعارف بمصر ط 18 ص 46، وينظر كذلك: طبقات فحول الشعراء، للجمعي 17/1 شرح وتعليق د/ محمود شاكر.

[4]– ينظر الأدب ومذاهبه ، د/ محمد مندور ،دار النهضة ، مصر ، ص 60 ومابعدها ،وينظر كذلك : مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ،د/ محمود حامد شوكت ، ود/ رجاء محمد عيد ، دار الفكرالعري ،مصر ، ص247 وما بعدها

[5]– ديوان أحمد شوقي، من المقدمة.

[6]– شرح المعلقات السبع، للزوزني، دار بيروت ط عام 1980 ص 137.

[7]– المرجع نفسه ص 119، 120.

[8]– ديوان أبي نواس، وينظر التجديد والنقد في الشعر، محمد كامل عباس، منشورات دار مجلة الثقافة عام 1986 دمشق، ص 34.

[9]– ديوان أحمد شوقي، ،كتب حافظ إبراهيم هذه الأبيات في تقديمه لديوان شوقي

[10]– ديوان أدونيس: "مفرد بصيغة الجمع".

[11]– هموم كاتب العصر، فاروق خورشيد، دار الشروق، بيروت ط عام 1981 ص 257.

[12]– شعرنا القديم، والنقد الجديد، د/ وهب أحمد رومية، عالم المعرفة عدد 207 مارس 1996 الكويت، ص 07.

[13]– هموم كاتب العصر، ص 105.